وسائل القمع السياسي في الشعر الأموي

محمد دوابشة

تلخيص:

يحاول هذا البحث التعرف على وسائل القمع السياسي في الشعر الأموي من خلال الأشعار والأقوال التي تُنسب إلى ذلك العصر؛ بسبب الخلافات السياسة التي فرضتها طبيعة تلك الفترة، فهناك من تفنن في هذه الوسائل مع الخصوم، وربما خرج بها عن المألوف، ولم يكن هدف هذا البحث هو إظهار سلبيات ذلك العصر، ولكن لتتبع سمة تاريخية لا يستطيع أحد إنكارها، وقد وظف الباحث في بحثه المنهج الوصفي التحليلي في دراسة النصوص ومناقشتها.

مقدمة:

إن الصورة العامة التي نتجت عنها أحداث العصر الأموي، تفاعلت في إطارها شتى الدعوات، واستطاعت أن تمدّ قدرتها عبر الزمن على الرغم من قسوته، وتمكنت من الدفاع عن وجهات النظر المختلفة التي آمنت بها، حتى أصبح هذا الفيض الفكري والشعري، لا يمثل الجانب الأدبي وحده، وإنما هو انعكاس حقيقي لقدرة الأمة في جوانب الحياة بكل أبعادها، فكان العصف السياسي بمده وجزره، وما نتج عنه من أحزاب معارضة تتسابق للوصول إلى السلطة الحاكمة (الخلافة)، نتيجة طبيعية ومنطقية لوجود مثل هذه الوسائل وبصور مختلفة في عصر بني أمية.

ولا نتوقع أن كل من كان يقع في قبضة أحد الأحزاب من المعارضة، كان يعذب عذابا شديدا، وينكل أو يمثل به أو يصلب أو ينتهي به الأمر للموت. فقد ورد عن مروان بن محمد أنه أحسن معاملة الأسرى ولم ينكل بهم، إلا إذا كان في قتل بعضهم خيرا له ولجنده، ففي معركة عين الجسر أسر نحو سبعة عشر ألفا، جمعهم فأحسن إليهم، ثُم أطلق سراحهم وأعطى كل واحد منهم دينارا وردهم إلى أهلهم (الطبري، د.ت: 597/5)، وليس غريبا هذا السلوك على مروان وعلى غيره من العرب، فالعروبة كانت تأبى أن تقتل رجلا وهو في الأسر، إلا في حالات نادرة، والرفق بالرعية هو الرشد بعينه عند معاوية بن أبي سفيان (الدينوري، 1969: 178/1)، وهناك مواقف كثيرة أوردها العقاد تدلل على حلم معاوية وتسامحه (العقاد، 1966: 76–81) وعكسه كان عبد الملك بن مروان، فقد قيل: "معاوية أحلم وعبد الملك أحزم" (ابن عبد ربه، 1984: 401/4).

ولكن من الطبيعي أن يتعرض بعض الناس للقمع، أيا كان نوعه وأدواته، والأدب الأموي كشف لنا عن بعض الأدوات التي كانت تستخدم في تعذيبهم، وقد كثرت وسائل القمع السياسي وتنوعت أدواته؛ بسبب الخلاف بين الحاكم والمحكوم، فكانت النتيجة عدم الوفاق بينهما، فأدى ذلك إلى الاختلال السياسي، رافقه اختلال في القضايا الأخرى، وهذا ما أشار إليه– فيما بعد – ابن خلدون في قوله "إن المَلِكَ إذا كان قاهرا باطشا بالعقوبات منقبا عن عورات الناس وتعديد ذنوبهم، شملهم الخوف والذل، ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة، فتخلقوا بها، وفسدت بصائرهم وأخلاقهم، وربما خذلوه في موطن الحروب والمدافعات، ففسدت الحماية بفساد النيات، وربما أجمعوا على قتله، لذلك تفسد الدولة...وإذا كان رفيقا بهم متجاوزًا عن سيئاتهم؛ استناموا إليه ولاذوا به واشربوا محبته واستماتوا دونه في محاربة أعدائه، فاستقام الأمر في كل جانب" (ابن خلدون د.ت: 185)، وبما أن عصر بني أمية كان يتطابق والشق الأول مع ما قاله ابن خلدون، فقد تعددت وسائل القمع وتنوعت أدواته.

وهؤلاء الأشخاص الذين عوقبوا، كان عقابهم أو قمعهم لأسباب شتى، إما لمعارضتهم للدولة أو تمردهم عليها أو خروجهم على العادات والتقاليد والدين، وهؤلاء المتمردون فكرا وسلوكا، كانوا متميزين عن غيرهم، وجاء

تمردهم لإصلاح العصر، من وجهة نظرهم، فالشعراء الذين نشأوا في بيئات متواضعة اجتماعيا واقتصاديا وعانوا من ألوان الفقر والظلم، وتمتعوا بقدر من الوعي والفكر هم أكثر من غيرهم تمردا على الواقع السائد المألوف: قيما وفكرا وسلوكا، وقد يلتمس لهم العذر؛ لأن ذلك يعني أنهم يرفضون واقعا سيئا، من وجهة نظرهم، ويتطلعون إلى واقع مغاير ينقذهم مما هم فيه (حور، 1997: 159).

وقد استقام البحث في جزأين، الأول: أفردته للحديث عن وسائل القمع المعروفة والمتداولة آنذاك، كالقيد والوثاق والسوط وما شابهها، والثاني: أفردته للحديث عن عقوبات أخرى، وهو ما لم أستطع أن أصنفه تحت الجزء الأول، فقد يكون هذا النوع نادرا أو مستغربا أو جمع أكثر من وسيلة تعذيب في آن واحد، فهناك عدة وسائل، استخدمها بعض المتنفذين في العصر الأموي، لم أستطع أن أفرد لها جزءا خاصا، فلم أعثر إلا على حالة واحدة من هذه الوسائل، كالتسمير مثلاً، لذلك فضلتُ أن أدرس هذه الوسائل في جزء خاص، جاء بعنوان عقوبات أخرى.

البحث:

أولاً: وسائل معروفة (الضرب المطلق):

مصدر ضَرَبْتُه، وضَرَبَهُ يَضْرِبْهُ ضَـرْبًا وَضَـرّبَهُ. وضَـارَبَهُ: جالَـدُه، والضَّـارِب: المتَحَـرِّك، ويضـطرب الموجُ: يَضْرِبُ بَعْضُهُ بعضًا، والضَّريبةُ مـا ضَـرَبْتَه بالسّـيف، والضـريبة: المضـروب بالسـيف، كالنطيحـة والأكيلة، وكل شيء ضَربته، حي أو ميت، فهو ضريبة، قال جرير:

فإذا هَزَزْتَ وقطعتُ كلَّ ضَرِيبَةٍ ومَضَيْتَ ولا طِبعا وَلا مَبْهُورَا (الديوان: 291)

والضرب متعدد الأشكال، فيكون باليد بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر كالسيف والسوط. فمن خطب الخوارج، خطبة حرقوص بن زهير في رده على عليّ بن أبي طالب، بعد رفضهم للتحكيم "... اضربوا جباههم ووجوههم بالسيف..." (الدينوري، 1969: 142/1)، وخطب عبد الملك فقال: " اللهم سلط عليهم سيوف أهل الشام" (الطبري، د.ت: 10/8)، وقال زياد بن أبيه " لا يظهر من أحد منكم خلافُ ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه" (الطبري، د.ت: 124/6)، وقال الحجاج "والله لأحزمنكم حزم السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل... وإني لأقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه" (الطبري، د.ت: 210/7)، وقال الحجاج "والله لآمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد، فيخرج من الباب الذي يليه، إلا ضربت عنقه"، (القلقشندي، د.ت: 220/1)، وقال عقبة الأسدي:

وَكُنتُ أَمَرتَهُم لَو طَاوَعُونِي بِضَربٍ فِي الأَزَقّةِ مُصَلَّتينا (الطبري: 161/7)

ومن أشكال الضرب: الضرب بعمود الخيمة، ومنه أن شمّر أمر رستم بضرب امرأة الكلبي بعمود الخيمة، فماتت مكانها (ابن الأثير1997: 175/3)، ويزيد بن طريف المسلي ضرب أبا العمرّطة بالعمود (ابن الأثير1997: 71/3)، وابن زياد ضرب أنف هانئ بن عروة المرادي وجبينه وخده حتى كسر أنفه ونثر لحمه، ثم ألقى في بيت وأغلق عليه (ابن الأثير1997: 140/3)، ومن أنواع الضرب أيضا، الضرب بالسيف والشق نصفين (ابن الأثير 1997: 185/4–186)، وضرب العنق (ابن الأثير 1997: 48/3)، فالمنذر بن الجارود ضرب عنق رسول الحسين وقتله، يظنه داسوسا (ابن الأثير 1997: 135/3)، وقد

وصف عبد الله بن الزبير الأسدي وسائل الضرب وتأثيرها وكيفيتها والحالة النفسية التي يكون عليها المضروب، يقول:

جَعلتُم لِضَرْبِ الظّهرِ من عِصِيكم تُراوُحُهُ والأصبَحَّيةُ للبَطْنِ (شعره: 135)

ولم يسلم أعشى همدان من الضرب، فالحجاج يضرب عنقه (ابن الاثير1997: 511/3)؛ لأنه خالفه في الفكر والمذهب، وابن مفرغ يصف ألوان العذاب؛ بسبب الضرب وما نتج عنه، يقول:

قُرِنْتُ بِخِنــزِيرٍ وَهِــرٍّ وَكَلْبَـةٍ زَمَانًا وَشَانَ الجِلدَ ضَربٌ مُشَذّبُ (الديوان: 55)

وهنالك حوادث أخرى كثيرة تدلل على وقوع الضرب بكافة أنواعه وأشكاله وعلى مناطق عدة من الجسم، والضرب من أشهر الأنواع في العصر الأموي وأسهلها، وربما يعود ذلك؛ لأنها لا تحتاج إلى إعمال فكر وإنما يستطيع الشخص أن يفرغ حالة الغضب النفسي بسرعة وبصورة مباشرة دون تفكير أو تركيز، فكان الأكثر رواجا وشهرة (ابن الاثير1997: 73/3–173/3–180/3)، وقد ضرب الوليد بن يزيد أشخاصا من أئمة الدين وخيار الأمة من المدينة والكوفة والبصرة والشام ومصر (التميمي1984: 468–469).

السوط:

قال ابن فارس: السين والواو والطاء، أصلٌ يدلُ على مخالطةِ الشَّيءِ الشَّيءَ (ابن فارس: مادة سَوَطَ)، وَسُمّيَ السّوطُ سَوطًا؛ لأنهُ إذَا سِيطَ بهِ إنسانٌ أو دابة، خَلطَ الدّم باللحمِ، وهو مشتق من ذلك؛ لأنهُ يَخلِطُ الدّمَ باللّحمِ وَيَسُوطُهُ، وَالجَمع أَسوَاطٌ وَسِيَاط، وَفِي الحديث " مَعَهُم سِيَاطٌ كَأَذنَابِ البَقَرِ" (صحيح مسلم: حديث رقم 2112) وَالأَصلُ سُوَاطٌ، بالوَاو، فَقُلِبَت يَاءً لِلكَسرةِ قَبلَها، وفي حديث أبي هريرة، رضي الله عنه: فَجَعلَنا نَضربُهُ بأسيَاطِنَا وَقِسِيِّنَا (ابن منظور: مادة سَوَطَ)، قال ابن الأثير: هكذا رُوِيَ بالياء، وَهوَ شَاذٌّ، وَالقِيَاس أَسوَاطِنَا، وَقَد سَاطَهُ سَوطًا وَسُطُّهُ أَسُوْطُهُ، إذَا ضَرَبْتُهُ بالسّوْطِ (ابن الأثير، 216/2).

لقد كانت العراق بيئة المعارضة للحركات والثورات والبيئة الخصبة لها منذ زمن علي، لذلك، فالمتوقع أن تكون البيئة التي يكثر فيها ألوان وسائل القمع السياسي وفنونه، وبخاصة أن أهل العراق في طبعهم التمرد بأشكاله كافة، وبخاصة أن بداية العصر الأموي شهد الفسق والمجون في جميع أنحاء

البصرة (الطبري، د.ت: 124/6)، وهذا ما أشار إليه زياد بن أبيه في خطبته المشهورة البتراء "... إنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه من تركككم هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر... قربتم القرابة وباعدتم الدين..." (ابن عبد ربه، 1948: 146/6) فقد ضَربَ يزيدُ بن عبد الملك علي بن عبد الله بن العباس بالسياط مرتين، وكان عليّ يلقب بالسَّجاد؛ لتقاه وكثرة صلاته، وقد نفاه الوليد إلى حوران، وبقي فيها حتى وفاته (المقريزي، 1988: 32)، قال أعشى همدان:

وَنَهكْتَ ضَرْبًا بِالسّيَاطِ جُلودَهُم ظُلْمًا وَعُدْوَانًا وَلَم تَتَحرَّجِ (الديوان: 93)

ولعل هذا البيت يلخص المعاناة النفسية كاملة عند الشخص الذي يضرب بالسوط؛ لما في الضرب من إيذاء نفسي، يجعله في مرتبة الحيوان، فالأنا (الشاعر / السجين) في بيت أعشى همدان، أخضع كل الأدوات الفنية من أجل إبراز المعاناة وإظهارها، فاختار الأسلوب الخبري؛ ليعبر عن المشهد المراد تصويره، من خلال الفعل "نهكت" في بداية الشطر الأول، و"لم تتحرج" في نهاية الشطر الثاني، فهو يرسم صورة ذات حجم كبير لذاته، ويحاول التركيز عليها، فاختار الفعل "نهك"؛ لأنه يعبر عن الحركة والصورة المرئية.

وفي العصر الأموي استخدم بعض أصحاب المناصب مختلف الوسائل المشروعة وغير المشروعة، أحيانا، في تطبيق ما يريدون، حقا أم باطلا، وبخاصة في جباية الصدقات والزكاة، وفي ظل هذه الظروف تتولد المشاعر المتصارعة، بين الخوف والقهر والظلم، والرضى بالواقع والتمرد عليه، فإذا ما رفض الشخص تنفيذ أوامر أصحاب النفوذ، يصبح مصيره، كما قال الراعي النميري:

أَخذُوا العَرِيفَ فَقطَّعوا حَيْزومَهُ بِالأصبَحِيةِ قَائِمًا مَغلُولاً
حَتّى إذَا لَم يَترُكُوا لِعِظَامِهِ لَحمًا وَلا لِفُؤادِهِ مَعقولاً
وَغَدوا بِصكِّهم وَأَحدَبَ أَسأرت مِنهُ السّياط يَرَاعَةً إِجفِيلا (الديوان: 236–237)

أو كما قال عمرو بن أحمر الباهلي:

يَا يَحيى يَا ابن إِمَامِ النّاسِ أهلَكنَا ضَربُ الجُلُودِ وَعُسرُ المَالِ وَالحَسَرُ
يَكسُونَهم أَصبحيات مُحَدرَجَةً إِنّ الشّيوخَ، إِذَا مَا أوجعوا ضَجِرُوا (شعره: 95)

وهنا تحول الأسلوب من الخبري إلى الإنشائي معتمدا على النداء " يا "، في توجيه رسالة إلى يحيى، إذ نسبه إلى ابن إمام الناس، كأحد المداخل إلى قلبه؛ للمسارعة في الإفراج عنه، وتؤدي وظيفة ياء المتكلم هنا، زيادة الإحساس بالتوسل والرجاء، ثم يأتي أسلوب التأكيد " إنّ "؛ للإلحاح في الطلب. قال عبد الله بن همام السلولي:

إنْ يُعتِبوكَ وَلَمّا يَعْـلُ هَامَهُـم ضَربُ السِّياط وَشَدٌّ بعْدُ فِي الحُجُلِ

إنَّ السِّياطَ إذا عَضَّتْ غَوَارِبَهُم أَبدَوا ذَخَائِرَ مِن مَالٍ وَمنْ حُلَلِ (شعره: 170)

وقال ابن الزَّبير الأسدي:

قَتَلْتُم أَخَاكُـم بالسِّياطِ سَفَاهةً فَيَا لَكَ لِلرأيِ المُضَلّل والأَفَـنِ

فَلَو أَنّكُم أَجْـهَـزتُم إذ قُتلتُـم وَلِكن قَتلتُم بالسّيَاطِ وبالسِّجْنِ (الديوان: 136)

وكان هذا اللون من القمع يؤدي أحيانًا إلى الموت: فابن زياد يضرب ابن مفرغ بالسياط حتى الموت (ابن الأثير: 132/3)، وكان السوط أحيانًا وسيلة من وسائل التهديد، يقول المنذر بن الجارود "وسيفي وسوطي على من ترك أمري" (ابن الأثير: 136/3)، وقد يصاحب الضرب بالسوط أساليب أخرى متنوعة مثل: الضرب بالسوط وصب الماء البارد على الرأس، ".. كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز يأمره أن يضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير ويصب على رأسه ماءً باردًا، فضربه خمسين سوطا وصب عليه ماء باردًا في يوم شاتٍ ووقفه على باب المسجد، فمات في يومه" (ابن الأثير: 52/4)، وقد استخدم بنو أمية السوط بكثرة وبخاصة مع الشعراء (الباهلي، 1970: 95).

الوثاق:

قال ابن فارس: الواو والثاء والقاف كلمة واحدة تدل على عقد وإحكام، ووثقت الشيء: أحكمته، والميثاق العهد المحكم (ابن فارس: مادة وَثَقَ)، وهو الإحكام في الأمر، قال الشاعر:

عَطاءً وَصَفْقًا لا يغبُّ كَأَنَّما عَليكَ بإتلافِ التلادِ وَثيق (لسان العرب: مادة وَثَقَ)

فمن صور القمع السياسي المتداولة شدّ الوثاق، فشد الوثاق في الرِّجل، والضرب على السيقان بحيث يترك آثاره واضحة عليها، بطريقة لا ترتقي إلى مستوى الإنسانية، فيها نوع من الإهانة والانتقاص من كرامة الإنسان، والنزول به إلى مرتبة دنيا، قال جحدر بن معاوية:

يَغشُونَ مُقطَّرةً كأنَّ عَمُودَهَا عنْقٌ يعرقُ لَحَمها الجزّارُ (ديوانه: 173)

أما القتال الكلابي فيصور المعاناة التي يعانيها من خلال كلمة "يثُلُّني" وما فيها من تشديد ؛لتعكس حالة نفسية خاصة، يقول:

يَشدُّ وِثاقي عَابسًا ويثُلُّنِـــي إلى حلقاتٍ في عمودٍ مُرَمَّلِ (ديوانه: 73)

غالبًا ما كان الأسير –علاوة على أسره– يوثق ويقيد إمعانًا في إذلاله وإهانته، ففضلاً عن كونه أسيرًا لا يقوى على حرية الحركة خارج المكان، فهو موثق اليدين أو الرجلين أو الاثنين معًا، وقد يطول الوثاق على اليدين أو الرجلين، فكيف لنا أن نتصور نفسية هذا الإنسان وبخاصة عند من لم يجرب هذا الأمر، يقول أعشى همدان:

واسْتَنكَرتْ سَاقِي الوِثاقَ وسَاعِدي وَأَنا امرؤٌ بَادي الأَشاجعِ أَعْجَفُ (ديوانه: 138)

وعقبة بن نافع يقبض على أبي المهاجر ويوثقه (ابن الأثير: 64/2)، وقد يكون الوثاق بالحديد داخل الحبس (ابن الأثير: 73/3)، واستخدام الوثاق أسلوب قديم يستخدم للأسير أو السجين، وأراه كان يستخدم لأغراض شتى، منها الإذلال والمبالغة فيه، ثم إهانة هذا الشخص إلى درجة تنزل به إلى مرتبة دنيا لا تليق بالإنسانية، ومن ثم الخوف عليه من الهرب، وبخاصة إذا كان معارضا للدولة، فالوثاق من الثقة: والثقة التثبت من الشئ، وهو تحديد مكانه وتثبيته بحيث لا يغادره.

الكَبُول:

الكَبلُ: قيدٌ ضخم، والكِبْل: القيد من أي شيءٍ كان، وقيل هو أعظم ما يكون في الأقياد، وجمعها كُبول، يقال كَبَلْتُ الأسير وكَبّلْتُه إذا قيَّدته، فهو مكبول ومُكبَّل، والمكبول: المحبوس، قال عبد الله بن الزَّبير الأسدي:

وَكَبَّلْتُهُ حَـوْلاً يَـجُـودُ بِنَفسِـهِ تَنْوءُ بِهِ فِي سَاقِهِ حَلَقُ اللبنِ (شعره: 134)

وقال العرجي:

وَكَشَرْنَا وَكُبُـولُ الَقْينِ تَنْكِبُنَا كالأُسْدِ تَكْشِرُ عن أنيابها الرُّوقِ (العرجي: 138)

نلاحظ أن الاستخدام الفني للغة في البيتين السابقين فيه نوع من التباين في المواضيع والأغراض والمعاني المختلفة، وهي تختلف من شاعر إلى آخر، ومن قصيدة لأخرى، وقد تنبه الدارسون إلى مثل هذه الأساليب التي استخدمها الشعراء في تجاربهم وميزوا بين نوعين من الأساليب: التعبيري، وهو ما يقدم فيه الشاعر تجربته، تاركا للآخرين استكشاف ما فيها من أفكار وأهداف وما يختلج في نفس صاحبه من عواطف وأحاسيس وانفعالات، (بكار، 1979: 204–205)، وهذا ما عبر عنه الشاعران عبيد الله بن الزبير الأسدي والعرجي.

أما الأسلوب الآخر فهو الأسلوب التقريري، إذ يقدم فيه الشاعر تجربته نقديا تقريريا مباشرا، بحيث تفهم بسرعة، ولا يجد القارئ معاناة في البحث عن أفكار الشاعر ومراميه واستخلاصها من قصيدته، وهذا ما نجده واضحا في شعر الصعاليك، كما في قول طهمان بن عمرو الكلابي:

لَعَلكَ بَعدَ القَيْدِ والسِّجنِ أنْ تَرَى تَمُرّ علَى لَيلَى وأَنتَ طَلِيقُ (ديوانه: 19)

وقوله:

بِمَنزِلَةٍ ما كَانَ يَرضَى بِمِثلِها إذا قَامَ غَنَّتْهُ كُبُول تُجَاوِبُهْ

عَلَى السّاقِ فَوقَ الكَعْبِ أَسوَدُ صَامِتٌ شَدِيدٌ يُدانِي خَطوَهُ وَيُقَارِبُهْ (ديوانه: 1)

وفي اللحظات الحرجة كان المكبل يتذكر المحبوبة ويلمح خيالها الذهني، علها تخفف عنه ما هو فيه، أو لإظهار الشجاعة أمام طيفها، يقول عبد الله بن الزبير:

ألا ليتَ شِعري هَل أَتَى أم واصلٍ كُبولٌ أعضّوها بساقَي تَجْرحُ

إذا مَا صَرَفَت الكعبَ صَاحَت كَأنّها صَريفُ خطاطيفِ بدلوين تُمتَحُ (ديوانه: 76)

ونلاحظ الانكسار النفسي والجسمي عند أعشى همدان؛ بسبب الكبول وما نتج عنها من آثار نفسية وجسمية مع طول الوقت، يقول:

أَصْبَحتُ رَهْنًا لِلعداةِ مُكبَّلاً أُمسِي وَأُصبِحُ في الأَداهِمِ أَرْسُفُ (ديوانه: 138)

أما الكَبْلُ، وهو القيد العظيم، فهو مخصص للسجين مدى الحياة (الخطيب1999: 26)، قال العرجي:

بَكَتْ جَزَعًا، وَقد سُمِرَتْ كُبُولِي وَجَامِعَةٌ يُشَدُّ بها خِنَاقِي (الديوان: 136)

ولا نستغرب ورود كلمة (الكُبُول) عند العرجي، إذا ما عرفنا هجاءه اللاذع لمحمد بن هشام وإيذائه في نفسه وعرضه، ونجد الكُبُول عند عمرو بن الزبير – شقيق الخليفة عبد الله – فهواه الأموي، المخالف لأخيه الخليفة في الفكر، أدى به إلى السجن ومواجهة أصناف العذاب، قال ابن الزَّبير الأسدي، يلوم الأخ على ما فعل بأخيه :

وَكَبلتُهُ حَوْلاً يجودُ بنفسِهِ تَنُوءُ فِي سَاقِهِ حَلَقُ اللبنِ (ديوانه: 134)

وقال طهمان بن عمرو الكلابي في المعنى ذاته:

أسيرٌ يعضُ القيدَ ساقيهِ فيهمَا من الحلَقِ السّمرِ اللطافِ وثيقُ (ديوانه: 104)

الأغلال:

الغُلّ والغُلَّة والغَلَل والغليل، يعني شدة العطش وحرارته، ومن معانيها الحقد والحسد والخيانة،، والغُلّ أيضًا: جامعة توضع في العنق أو اليد والجمع أغلال (لسان العرب: ماده غَلَل).وهذا هو المقصود، وهنا معنى مشترك بين المعنى اللغوي الذي يشير إلى كثرة الشيء من عطش وحقد وخيانة، والمبالغة في إيذاء المغلول، إذا أن الكلمة "غَلَلَ"، والانسجام الصوتي بين حرفي الغين واللام يدل دلالة واضحة على سعة المعنى، وهذا ما يقع على المغلول والمبالغة في إيذائه.

يلاحظ الباحث في أدب العصر الأموي أن استخدام الأغلال قليل إذا ما قورن بالأساليب الأخرى، فلم أعثر إلا على ثلاثة مواضع ذكر فيهما هذا الأسلوب، عند الحديث عن علي بن الحسين فيما رواه بن الأثير، ورد مرتين "..... ثم أُمر بعلي بن الحسين فأُدخل مغلولاً فقال: لو رآرنا رسول الله مغلولين لفك عنا...." (ابن الأثير: 189/3)، وكذلك (.... وفيهم علي بن الحسين قد جعل زياد الغل في يديه ورقبته..... (ابن الأثير: 187/3)، ولعل السبب يعود في ذلك إلى شدة الرغبة في الانتقام من علي بن الحسين وإمعانًا في إهانته وإذلاله، وبخاصة أنه أمام نسائه وأهل بيته، ومرة ثالثة عند المبالغة في تعذيب يزيد بن مفرغ الحميري في قوله:

وقرنتم مع الخنازير هرًا وَيَميني مغلولةٌ وشِمالي (الديوان: 188)

وما هذا إلا مبالغة في الإذلال، وهو يعرف ذلك في داخله ويصرح به، يقول:

وكَسَرْتَ السِّن الصّحيحةَ مِنّي لا تُذلَّن فَمنّكرُ إذلالي (الديوان: 187)

القــيد:

القاف والياء والدال كلمة واحدة، وهي القيد، وهو معروف، ثم يستعار لكل شيء يحبس، يقال: قيَّدته أقيده تقييداً، ويقال فرس قيد الأوابد، بمعنى الوحش من سرعة إدراكه لها، مقيدة (ابن فارس: مادة قَيَدَ)، قال امرؤ القيس:

وَقَد أغْتِدي وَالطَّيْـرُ فِي وُكِنَاتِهَا بِمُـنْجَرِدٍ قَيْدَ الأوابِدِ هَيْـكَل (الديوان: 19)

كان القيد من أكثر وسائل القمع التي تهين السجين، وتقوم على إذلاله وخفض كبريائه، وكان القيد عبارة عن أثقال حديدية، قد تخف أو تثقل، يحملها السجين، فهو تعذيب جسدي ونفسي في الوقت ذاته، فقد وصف الشعر القيد بأوصاف شتى وحالات كثيرة، فهو هادم أجسادهم، وقاتل كبريائهم، ومهما اختلفت أشكال القيود وأنواعها يجمعها اسم الوثاق. يرى الجاحظ إن العرب كانت تشد لسان الأسير بنسعة، إذا كان شاعرًا؛ خوفا من هجائه، مستشهدًا بقول عبد يغوث بن وقاص الحارثي:

أقولُ وَقَدْ شَدّوا لِسَانِي بِنَسْعَةٍ أمعشَر تَيْمٍ أطلقوا مِن لِسَانِي (البغدادي: 133)

أما التبريزي فقال: هذا مثلٌ؛ لأن اللسان لا يشد بنسعة، وإنما أراد: افعلوا بي خيرًا؛ لينطلق لساني بشكركم، وإنكم ما لم تفعلوا، فلساني مشدود، لا أقدر على مدحكم. وقال أبو عبيدة كانوا قد شدوا لسانه؛ مخافة هجائه، فجعل لهم ألا يهجوهم، فأطلقوا لسانه (التبرزي: 609/2)، قال الفرزدق:

فَيَا خَيرَ أَهلِ الأَرضِ إنّكَ لو تَرى بِساقيّ آثارَ القُيودِ النَّواسِفِ (ديوانه: 370)

كان القيد من لوازم السجين؛ للمبالغة في تعذيبه، فلم يكتف بالسجن، وإنما رافقه القيد، يضاف إلى هذه الأساليب، أساليب مختلفة ومتنوعة، فالقيد كان صفة ملازمة، "فالحجاج قيد سعيد بن جبير (ابن الأثير: 53/4–71/4)، و يزيد بن أبي كبشة السكسكي قيد محمد بن القاسم وأخذه إلى العراق (ابن الأثير: 62/4)، ولم يفكر الفرزدق، عندما أرسل زياد في طلبه، إلا في القيد والسجن وبألوان العذاب، يقول الفرزدق:

أَخَافُ زِيادًا أَنْ يَكُونَ عَطاؤُهُ أَداهِمَ سُودًا أو مُحَدْرَجَةً سُمَرا (ديوانه: 168)

ويقول العرجي:

أُجَرَّرُ فِي الجَوَامِعِ كُلَّ يَوْمٍ أَلاَ للهِ مَظْلَمَتِي وَصَبْرِي (ديوانه: 35)

والقيد كان صفة ملازمة لوسائل القمع السياسي في العصر الأموي (ابن الأثير: 520/3)، وقد وصف الشعراءالقيود الحديدية وثقلها على أرجلهم، وذكروا ألوانها وأنواعها، وما كانوا يقاسون منها (الكلابي، 1961: 73 والكلابي، 19: 2002)، فالقيد والتقييد هو صفة ملازمة للأسر والسجن، ويستلزم هذا، عِدَدًا خاصة وكان القيد الجلدي أيسر أنواع القيود وأقربها متناولا في حياة العرب، إذ يؤخذ من جلود إنعامهم، وكان مع كل محارب لخفة وزنه وسهولة حمله، فهو لا يعوق سرعة المطية، وربما كان أول ما يوضع بيد الأسير من الأقياد (البزرة، 26: 1985–27)، ثم إذا ألقي الأسير في محبسه أثقل بالحديد، ويكون القيد أحيانا على حاله الأولى، فيه الشعر من غير دباغة فتنشأ فيه الديدان والقمل، ومنه قولهم في المرأة " غل قمل " (ابن سيده: 94/12) إذ كانوا يغلون الأسير بالقيد وعليه الشعر فيقمل.

السجن:

لقد كان السجن من أهم وسائل القمع السياسي في العصر الأموي وأقساها وقيل إن معاوية أول من أسس السجون في دمشق (المقريزي: 187/2) "؛ فجحدر بن معاوية العكلي يصور كرهه لسجن الحجاج بالكوفة، ويذكر أن السجناء كانوا يلقون فيه أصناف العذاب، وكأن النار التي يتوعد الله بها المشركين استمدت لهبها وهولها منه، وفيه يقول:

يا رَبِّ أبغَضُ بَيْتٍ عِندَ خَالِقِهِ بَيتٌ بِكوفانَ مِنْهُ أُشْعِلَت سَقَرُ

مَثوَىً تَجْمَّع فيهِ الناس كلهـم شَتَّى الأمور فلا وِردٌ ولا صَدْرُ

دَارٌ عَليها عَفاءٌ الدّهْرِ مُوحِشةٌ مِن كلَّ إنسٍ وفيها البدوُ والحَضرُ (ديوانه: 173)

وكانت سجون العراق أكثر من سجون الشام؛ بسبب وجود المعارضة، وكان سجن "مخيس" مثالا للرعب في سلطة الحجاج ومن جاء بعده، وقد سجن فيه الفرزدق، يقول فيه، وقد حبسه خالد بن عبد الله القسري واستغاث بمالك بن المنذر بن الجارود:

فهل يخرجني منذر من مخيس وعذر به لي صوته يتكلم (ديوانه: 173)

فإذا ما أراد خلفاء بني أمية الخلاص من أحد أرسلوه إلى سجن مخيس، فعندما قبض الوليد بن يزيد بن عبد الملك على محمد بن هشام، والي مكة قبل إن يصبح الوليد خليفة، أرسله إلى عامله في الكوفة يوسف بن عمر، وأمره بتعذيبه وسجنه في سجن مخيس حتى الموت (الأغاني: 159/1)، وحبسَ صالحُ بن عبد الرحمن محمدَ بن القاسم في العراق، فيقول:

فَلئن ثويتَ بواسطٍ وبأرضِها رهنَ الحديدِ مكبلاً مغلولا

فلربَّ قينة فارس قد رعتها ولربّ قرن قد تركتَ قَتيلا

وعذبه صالح حتى قتله (ابن الأثير: 62/4–63)، والأبيات تشير إلى أن صاحبها قد نظمها في ظروف حرجة، يغالبه فيها الضيق الذي يقهر أمنياته، ويحبط إمكاناته، ومن هذا الصراع الداخلي والإحساس بالفقد، تنطلق تجربته الشعرية معبرة عن عمق شعوره، فتبدو المرأة هنا هدف الشاعر، ومحط اهتمامه، وهي رمز لوحاته وأهدافه التي كان للمحاسن الخلقية نصيب وافر في القصيدة كاملة، ونقل عن المسعودي قوله: "توفي الحجاج وفي محبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة، وكان حبسه حائرا، لا شيء فيه يقيهم من حرٍ ولا برد ويسقون الماء مشوبا بالرماد" (التميمي، 1984: 398)، يقول القتال الكلابي:

إذا قلتُ رفِّهني من السِّجنِ سَاعةً تدارَكْ بها نُعَمَي عَليّ وَأفضِلِ

يَشُدُّ وثاقي عابِسَا وَيَتُلُّنِي إلى حَلقاتٍ في عَمُودٍ مُرمّلِ (ديوانه: 76)

إنه يطلب من حارسه، بنوع من الرجاء والتذلل إن يخرجه من سجنه، ولو لساعة واحدة، يتنفس فيها الحرية، ويخفف عن نفسه وطأة السجن والضيق، لكنه لم يستجب له، بل زاد في إحكام القيد على رجليه، وأوثق سلسلته بقوة في حلقة مربوطة بعمود كان ملطخا بالدم، ويضاف إلى عذاب السجن وانعدام الحرية، القيد داخل السجن، وذلك إمعانا في العذاب الجسدي والنفسي. يقول طهمان بن عمرو الكلابي:

لَعلكَ بَعدَ القَيدِ والسِّجنِ أَن تَرى تَمُرّ على لَيلَى وَأنتَ طَليقُ (ديوانه: 103)

وفي ليلى تتمثل معاني الحياة كلها بالنسبة للشاعر، فهي ذات مقدرة على إحيائه من الموت، فالصراع هنا صراع بين الحياة والموت، وانتصار ليلى رغم أنه انتصار مفترض ليس أكثر من غلبة الحياة وقهرها للموت، وأية حياةٍ هذه؟ إنها الحياة التي تحقق الكرامة لطهمان، وتتيح لقيمه النبيلة وأخلاقه

الفاضلة أن تتمثل في أعمال بطولية؛ ولأنه في سجنه مقهور واهن، فكانت المرأة أحد النوافذ التي ينفذ من خلالها الشاعر للتصبر والتأسي على ما هو فيه، يقول العرجي:

أُسائِلُ عَن وَجنَاءَ في السِّجن جَارَهَا لَعَمْرُ أبيها إنني لَمُكَلَّفُ (ديوانه: 155)

ويقول أيضًا:

تُذَكّرني والحبسُ دارِي وَرُبَّما يهيجُ الحِجازيّ ذِكرَهُ المُتَتهِّمِ (ديوانه: 89)

يحبس عبد الله بن الزبير سلم بن زياد؛ لأنه من رهط الأمويين، يقول وهو في سجنه:

وإنْ تَقهروني حَيثُ غَابَت عَشيرتِي فَمِن عَجَبِ الأيامِ أنْ تَقهروا مِثلِي (الأغاني: 183/9)

وقيس بن زفر الحارثي نصير ابن الزُّبير يقبض على عبد الله بن الزَّبير الأسدي، المؤيد للأمويين، مع رجال من بني أمية، فيطلق سراحهم ويستبقيه مكبل القدمين وقد تركه أصحابه للقيد والسجن. (الأغاني: 39/13)، ويصور جحدر الحالة النفسية التي يكون عليها السجين إذا ما سمع صوت، أو فتح باب، فالسجناء يصابون بالذعر والفزع؛ لأن فتح باب السجن يعني إما الحرية وإما ألوان العذاب، يقول:

يا صَاحبيّ وَبَابُ السِّجن دُونَكُما هَل تُؤنسانِ بصَحْراءِ اللِّوى نارا

إذا تَحَرَّكَ بابُ السِّجنِ قامَ لهُ قَوْمٌ يَمُدّونَ أعناقًا وأبصَارا (ياقوت: 45/40)

وقد ركز الشاعر هنا على باب السجن وكرره، وهذا الشيء طبيعي ومنطقي؛ لأن الخروج منه إما للحرية أو للقتل أو للتعذيب، ولذلك جاءت أداة الشرط إذا؛ لتتحكم نفسيا في مصير هؤلاء القوم الذين يمدون أعناقا وأبصارا، أي ينتظرون ماذا سيكون مصيرهم مع كل حركة، وقد وصف جحدر قسوة السجن النفسية، وقوته المادية في قوله:

أَدورُ فيه نَهارِي ثُمّ مُنقَلَبي بالليلِ أَدهَم مزرورُ بإزرارِ (ديوانه: 172)

وكان الشاعر يشكو من طيلة سجنه فهو لا يعرف متى سينال الحرية، فكان يتساءل دائما عن هذه المدة، يقول يزيد بن مفرغ:

وأطلتم مع الُقوبة سَجْني فِلَم السّجْنُ أو متى إرسالي (ديوانه: 188)

ويشبه جحدر أرجلهم والدماء تسيل منها برقبة حيوان ذبيح، أخذ الجزار يجرد لحمه والدماء تنزف منه، يقول:

يَغشُونَ مُقطَّرةً كَأنّ عَمُودَها عنق يَعرقُ لَحمَهَا الجزّارُ (ديوانه: 173)

لم يكتف سجانو العصر الأموي بالسجن وتقييد الحركة فقط، كنوع من أنواع القمع السياسي، إذ نادرا ما نجد أن الشاعر وضع في السجن دون مرافقة نوع آخر من العذاب، بل غالبا ما نجد أن الشخص المسجون يعاقب بعقوبات أخرى كالسجن والقيد، والسجن والضرب، والسجن والضرب والإهانة، فأبو المهاجر حبس عقبة بن نافع وضيق عليه (ابن الأثير: 64/2). وزياد جمع من أصحاب عدي اثني عشرة رجلا في السجن (ابن الأثير: 78/3)، وقد يرافق الحبس الضرب (ابن الأثير: 303/4)، وابن زياد حبس آل الحسين (ابن الأثير: 188/3)، وابن الزبير حبس ابن الحنفية في زمزم (ابن الأثير: 321/3)، وكذلك يضيق بحبسه على ابن عباس في منزله (ابن الأثير: 321/2)، وتحدث شعر السجون عن الحارس أو السجان، ، الذي يحول بين السجين وأهله وذويه، وصور ألوان التعذيب، ووسائله المختلفة وآثاره على أجسام السجناء، وخير من صور هذا اللون القتال الكلابي، في قوله:

وَكالىءِ بابَ السِّجن لَيسَ بمنتهِ وَكانَ فَرارِي مِنهُ ليسَ بمؤتِلي

أقولُ لهُ والسّيفُ يَعْصِبُ رأسَهُ أنا ابنُ أبي أسماءَ غيرَ التنحّلِ (ديوانه: 75–76)

إن القراءة المتأنية للبيتين السابقين، تظهر بوضوح حدة الموقف النفسي الذي تنبثق عنه التجربة، فالهدف والغاية اللذان يوجهانهما في محاولة لإثبات الذات، وتأكيد القدرات، ولا ينبثق هذا إلا من لحظة شعورية واحدة، لحظة الإحساس بافتقاد الحرية التي تحفز الشاعر على خوض تلك التجربة المعبرة عن مواقفه الإنسانية، ونحن نلاحظ أن كل الظواهر الفنية فيهما من ألفاظ ومعان وصور ومشاعر تتعاون في خدمة الإيحاء بهذا الموقف وإبرازه في صورته الكلية.يقول ابن مفرغ الحميري:

دارَ سَلْمَى بالخَبْتِ ذي الأطلال كيفَ نومُ الأسير في الأغلال (ديوانه: 185)

عاش يزيد بن مفرغ الحميري مأساة، نفحت فيها العصبية القبلية ريحا دويا، فيها دخل السجن، وبقوتها خرج، ومأساته مثل حيّ للصراع بين العصبية والسلطة، وفيها دليل على أن الحكام الأشداء كانوا أنفذ أثرا وأعلى يدا من عصبية القبائل (البزرة، 1985: 182)، ولم يسلم حتى الفقهاء من السجن، فقد أمر خالد القسري بحبس فقهاء مكة، وعلى رأسهم عمرو بن دينار وطلق بن حبيب وصهيب مولى بني عامر (التميمي، 1948: 356).

الـقـتل:

القتل المطلق صفة كانت ملازمة للمتنفذين وعِلِيَة القوم في العصر الأموي، ولا أريد أن أتحدث عن القتل في المعارك أو الحروب، فهذا شيء متوقع، ولكن ما أسعى إليه هو طرق القتل التي نهى عنها الإسلام، كأن يقتل أحد شخصا وهو يصلي، أو يقتل إنسانا ويمثل به، فمن النوع الأول، القتل أثناء الصلاة، روى ابن الأثير. فقال "مر شبيب الخارجي بذهل بن الحارث وهو يصلي بالمسجد فقتله، (ابن الأثير: 446/3)، وابن زياد قتل عبد الله بن عفيف الأزدي وكان ضريرا (ابن الأثير: 187/3)، وهدبة بن فياض قتل حجر بن عدي (ابن الأثير: 80/3)، و" المغيرة بن شعبة يقتل جماعة في الخوارج بقيادة حيان بن ظبيان (ابن الأثير: 108/3)، ومن النوع الثاني ما فعله ابن زياد مع هانئ بن عروة وابن عقيل في السوق، وقال فيها عبد الله بن الزَّبير الأسدي:

فَإن كُنتِ لا تَدرِينَ فانظُري إلى هَانِئ في السّوقِ وابنِ عَقيلِ

إلى بَطَلٍ قد هَشّمَ السّيفُ وَجهَهُ وآخَر يَهوي من طَمَارٍ قتيلِ (ديوانه: 146)

والشاعر هنا يخاطب المحبوبة وهو يعاني أقسي الظروف، فهو بين قضيتين أحدهما تذكرة بالفناء والقتل، والأخرى تذكرة بالحياة والحب، وليس اجتماع هذين النقيضين هنا، الحياة والفناء في الموقف الواحد وارتباط أحدهما بالآخر، إلا تأكيدا لإحساس الشاعر بالتناقض العام الماثل سواء في العالم الخارجي أو عالمه الباطني" (إسماعيل، 1978: 19–20).

وابن زياد يقتل عروة بن أذينة "قطع يديه ورجليه وقتله وقتل ابنته " (ابن الأثير: 110/3)، وزياد يقتل أوفى بن حصن، وهو أول قتيل بالكوفة (ابن الأثير: 56/2)، عبد الرحمن بن عثمان الثقفي يطعن عمرو بن الحمق حتى الموت (ابن الأثير: 72/3–73)، ومنه القتل الجماعي"... فدعا نيزك فضرب رقبته بيده وأمر بقتل صول وابن أخي نيزك، وقتل من أصحابه سبعمائة، وقتل اثني عشر ألفًا، وقتل

نيزك وابن أخيه وبعث برأسه إلى الحجاج " (ابن الأثير: 31/4). روى المسعودي خبرا عن الحجاج، فقال: "... كان الحجاج خَبَّر عن ذاته أن أكثر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره ولا سبق إليها سواه " ويدلل هو وغيره من المؤرخين بحوادث الحجاج مع بعض الشخصيات التقية، مثل: سعيد بن جبير وأسماء بن خارجة وعبد الله بن الزُّبير وعمير بن ضابىء البرجمي، ولكن علينا أخذ الحيطة والحذر عند دراسة مثل هذه الروايات التي تشوه العصر الأموي، والمبالغة في الإساءة إليه، فهذه الروايات كتبت في عصر بني العباس وهم أعداء الأمويين، ودولتهم قامت على أنقاض الدولة الأموية، وأنهم انتزعوا الخلافة بالقوة، وفي هذا العصر بدأ المؤرخون – وأكثرهم يؤيد العباسيين – ولو بالظاهر، فراحوا يبرزون دور حاضر العباسيين ويشوهون ماضي الأمويين، فجاء أكثر ما كتب بعيدا عن الواقع مبالغا فيه، تبدو عليه دلائل الوضع وعلامات الاختلاف، ولكي يدرس الباحث المنصف الظروف التي قضت على – الحجاج مثلا– أن يكون صارما شديدا، عليه أن يعرف الظروف التي عاشها الحجاج وعايشها في مجتمع مليء بالقلاقل والثورات والأفكار الدينية، فربما ما فعله كان مبررا ولو درسنا الموضوع من زاوية حيادية لدفعنا التهم المنسوبة إليه.

ثانيًا: أساليب أخرى

إن ما يرمي إليه من هذا العنوان، هو ما لم يمكن تصنيفه ضمن الجزء الأول من الأساليب العامة المعروفة والمتداولة في العصر الأموي، وإنما وردت بشكل قليل أو نادر، ومنها:

أ– تعذيب النساء

إن قمع النساء لم يكن ظاهرة لافتة للنظر في الشعر الأموي، ومع ذلك أورد ابن الأثير بعض الروايات التي تدل على وقوعها، ومنها: قتل مصعب بن الزبير لعمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري زوجة المختار الثقفي وعذبها (ابن الأثير: 337/3)، ولم يتردد الولاة في وضع النساء في السجن (ابن الأثير: 348/3–349)، وما حصل مع نساء الحسين دليلٌ على ذلك"، روى ابن الأثير فقال "... ثم أدخل نساء الحسين عليه والرأس بين يديه – رأس الحسين– فجعلت فاطمة وسكينة ابنتا الحسين تتطاولان؛ لتنظرا إلى الرأس، وجعل يزيد يتطاول ليستر عنهما الرأس، فلما رأين الرأس صحن، فصاح نساء يزيد وولول بنات معاوية، فقالت فاطمة بنت الحسين، وكانت أكبر من سكينة: أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟ فقال: يا ابنة أخي أنا لهذا كنت أكره، قالت: والله ما ترك لنا خرص، فقال: ما أتى إليكن

أعظم مما أخذ منكن. فقام رجل من أهل الشام فقال: هب لي هذه، يعني فاطمة، فأخذت بثياب أختها زينب، وكانت أكبر منها، فقالت زينب: كذبت ولؤمت، ما ذلك لك ولا له، فغضب يزيد وقال، كذبت والله، وذلك لي ولو شئت أن أفعله لفعلته، قالت كلا والله ما جعل الله لك ذلك إلا بهذا؟إنما خرج من ملتنا، وتدين بغير ديننا، فغضب يزيد واستطار، ثم قال إياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك! قالت زينب:بدين الله ودين أبي وأخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك، قال: كذبت يا عدوة الله! قالت: أنت أمير تشتم ظالما وتقهر بسلطانك؟ فاستحى وسكت، ثم أخرجن وأدخلن دور يزيد، فلم تبق امرأة من آل يزيد إلا أتتهن وأقمن المأتم، وسألهن عما أخذ منهن فأضعفه لهن، فكانت سكينة تقول: ما رأيت كافرا بالله خير من يزيد بن معاوية (ابن الأثير: 189/3) "، ومن الوسائل المستخدمة في تعذيب النساء بقر البطون".... وبقروا بطن ثلاثين امرأة من بني سليم....." (ابن الأثير: 367/3) ثم إن مصعبا دعا أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار وعمرة بنت النعمان بن بشير الأنصارية امرأته الأخرى، فأحضرهما وسألهما عن المختار، فقالت أم ثابت: نقول فيه بقولك أنت فأطلقها، وقالت عمرة: رحمه الله، كان عبدا صالحا، فحبسها، وكتب إلى أخيه عبد الله بن الزبير: إنها تزعم أنه نبي، فأمره بقتلها، فقتلت ليلا بين الكوفة والحيرة، قتلها بعض الشرط، ضربها ثلاث ضربات بالسيف، وهي تقول: يا أبتاه! يا عثرتاه! فرفع رجل يده فلطم القاتل وقال: يا ابن الزانية عذبتها! ثم تشحطت فماتت، فتعلق الشرطي بالرجل، وحمله إلى مصعب، فقال:خلوه، فقد رأى أمرا فظيعا، فقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي في ذلك:

إنَّ مِن أَعجبِ العَجائبِ عِندي قَتلُ بَيضاءَ حُرَةٍ عَطْبُول (ديوانه: 337)

وأرى أن هذه الروايات ضعيفة ولو أنها وردت عند غير ابن الأثير أيضا، والرد عليها ببساطة، هو، لماذا لم يشر أي من المحدثين والفقهاء، فيما بعد، تعليقا أو موقفا أو عقوبة شرعية على هؤلاء الناس، لا من قريب ولا من بعيد، إلا إذا كان الحديث عن المرأة التي تدفع حياتها ثمنًا لفكرها الذي تحمله، فالأمر عندئذ مختلف، كما حصل مع عمرة بنت وكانت المرأة أحيانًا تدفع حياتها ثمنًا لفكرها الذي تحمله، وهذا ما حصل مع عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري زوجة المختار الثقفي. وكانت تسجن النساء لأسباب لا دخل لها فيها، ولكن كونها زوجة معارض أو أخته أو ابنته، وهذا ما فعله المختار الثقفي في زوجة عبيد الله بن الحر، إذ سجن زوجته، "فأخذ امرأته فحبسها، فأقبل عبيد الله في

أصحابه إلى الكوفة، فكسر باب السجن وأخرجها، وأخرج كل امرأة فيه، وقال في ذلك:

أَلَم تَعلَمِي يا أم تَوبةَ أنَّني أَنا الفارِسُ الحامِي حَقَائِقَ مَذحَجِ (ديوانه: 99)

ومن النساء اللواتي عذبن بطريقة يندى لها جبين الأدب العربي البثجاء، فمع اختلاف الروايات في طريقة تعذيبها، إلا أن الإجماع على أنها عذبت عذابا خرج عن صفات الدين والإنسانية، روى التميمي في كتاب المحن ".. لما أوتي بها ابن زياد، أمر بها فقطعت يداها ورجلاها فما نبست بكلمة، فأتى بنار لتكوى، فلما رأت النار صرخت، فقيل لها: قطعت يداك ورجلاك فلم تنطقي بشيء، فلما رأيت النار صرخت من قبل أن تدنى منك، فقالت: ليس من ناركم صرخت ولا على دنيكم أسفت، ولكم ذكرت بها النار الكبرى، فكان الذي رأيتم من ذلك، فأمر بها، فسملت عيناها، فقالت: اللهم قد طال في الدنيا حزني فأقرّ في الآخرة عيني ثم خمدت (التميمي، 1985: 281).

النهب:

وردت كلمتا النهب والاستباحة في المصادر التاريخية القديمة بمعنى واحد (ابن سعد: 38/5) والمتعارف عليه تاريخيا أن مسلم بن عقبة المرّي– بقرار من يزيد– أمر بانتهاب المدينة، فمكثوا ثلاثة أيام من شهر ذي الحجة ينتهبون المدينة حتى رأوا هلال محرم، فأمر الناس فكفوا؛ لأن معركة الحرة كانت لثلاث بقين من ذي الحجة سنة 63 هـ (البلاذري: 332/4)، وهذه وصية يزيد لمسلم "... فبعث إليهم – أي أهل المدينة – جيشا وأمره إذا لم يطيعوه بعد ثلاث أن يدخلها بالسيف ويبيحها ثلاثا..." (ابن تيمية: 223/8)، وكانت المدينة في اليوم الأول مسرحا للأحداث وانعدام الأمن، ولكن الشيء الذي يجب ذكره، هو أن النهب لم يشمل كل أهل المدينة، فلم نقرأ في كتب التاريخ أن عليا انتهبت داره أو أحد أولاده، ولكن النهب كان في مناطق ضيقة تعرف بمعارضتها للحكم الأموي، وكذلك إن الأشخاص الذين قاموا بالنهب هم فئة محصورة من أهل الشام، وكان حكرا على فئة معينة لا تحمل معايير سلوكية وأخلاقية تتماشى مع صفات ذلك المجتمع.

لم يكن النهب والسرقة لأجلهما فقط، وإنما كان يرافق أسلوب آخر من أساليب التعذيب، وغالبًا ما يكون بعد القتل كالنهب والسرقة وقطع الرأس مثلا، وسائل تعذيب متنوعة استخدمت مع الحسين بن علي (ابن الأثير: 183/3)، و ابن زياد ينفي عمر بن سعد إلى الزارة ويأخذ ماله (ابن الأثير: 148/3)،

وقد أباح مسلم المدينة ثلاثا يأخذون المتاع والأموال (ابن الأثير: 216/3–233/3) وقد يرافق السلب والنهب القتل أيضا (ابن الأثير: 62/4–291/4–424/2–427/3)، والحجاج يأمر بضرب عنق عمير بن ضابىء البرجمي ونهب ماله (ابن الأثير: 424/3).

انتهاك الأعراض:

إن أول إشارة وأقدمها لانتهاك الأعراض أوردها المدائني المتوفى 225 هـ في معركة الحرة ثم نقلها عنه ابن الجوزي"...ولدت بعد الحرة ألف امرأة من غير زوج... " (ابن الجوزي: 15/6)، والغريب في الأمر أن المؤرخين الذين ألفوا في الفتن لم يشيروا إلى وقوع انتهاك الأعراض، مثل الفتن لنعيم بن حماد والفتن لأبي عمرو الداني، وكذلك لم يذكر كبار المؤرخين الثقاة، مثل: الطبري والبلاذري وخليفة بن خياط وابن سعد هذه الحادثة، ربما لأن كتب المدائني كانت منتشرة في العراق، وفيها نسبة لا يستهان بها من الرافضة، وكانت لهم سيطرة على العراق، وربما لعدم اقتناع الثقاة بهذا الخبر فأغفلوه، وبخاصة أن هذا الأمر فيه جرم عظيم وكبير وإثباته بحاجة إلى أدلة واضحة وبينة من أهل الزمان والمكان أنفسهم، أما الرواية التي تصدر بالزعم فلا يمكن القبول بها.

ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية (ابن تيمية: 45) و الحافظ بن حجر (الحافظ بن حجر: 295/6)، قد أقرا بوقوع شيء من الاغتصاب، دون أن يوردا أسماء المصادر التي استقيا منها معلومتهما. وبذلك نرى أن قضية انتهاك الإعراض لا أساس لها من الصحة، وأنها روايات متأخرة وجاءت بدافع حزبي، يتخذ من الكره والتعصب ضد التأريخ الأموي دافعا له، وهذا لا يقصد به الجيش الأموي بل يتعداه إلى اتهام الجيش الإسلامي، علما أن بعض الباحثين المعاصرين أنكروا وقوع مثل هذه الحادثة، مثل: فلهوزن ونبيه عاقل والعقيلي (فلهوزن و عاقل: 112 والعقيلي: 69).

الرمي من مكان عال:

استخدم الأمويون هذا اللون في التعذيب بشكل قليل ومع أشخاص معينين فهذا " بكير بن حمران يضرب عنق ابن عقيل ويرميه من أعلى القصر (ابن الأثير: 146/3)، " ابن زياد يطلب من قيس الصيداوي أن يصعد القصر؛ ليسب الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي، ولكنه يصعد، فيلعن ابن زياد ويمدح الحسين ويستغفر لعلي، فيرميه ابن زياد من أعلى القصر فتقطع ومات " (ابن الأثير: 151/3).

الصلب

الصَّلْبُ والصَّلَبُ: عظم من لدن الكاحل إلى العجب، والجمع أصْلُب وأصلاب وصِلْبة، قال ثعلب:

أَمَا تَريني اليَومَ شَيْخًا أَشيَبا إذا نَهضْتُ أتَشَكّى الأَصْلُبَا

والصُّلَبُ من الظهر، وكل شيء من الظهر فيه فقار، فذلك الصُّلْب، والصَّلَبُ، قال العجاج يصف امرأة:

رَيّا العِظام، فَخْمةٌ المُخَدَّم فِي صَلَبٍ مثل العنانِ المؤدمَ

إلى سَوَادٍ قَطَنٍ مــؤَلم (لسان العرب–مادة صَلَبَ)

والصَّلْبُ: مصدر صَلَبَهُ يَصْلِبُهُ صَلْبًا، وأصله من الصليب، وهو الوَدَك. والصليب والصلب: الصديد الذي يسيل من الميت: وبه سُمي المصلوب، لما يسيل من ودكه، والصلب، هذه القِتْلةَ المعروفة، مشتق منه؛لأن ودكه وصديده يسيل منه، وقد صَلَبَهُ يَصْلِبهُ صلبًا، وصَلَبهَ، (لسان العرب–مادة صَلَبَ) قال تعالى: "**وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم**" (النساء: 157) وقال تعالى: "**لأصلبنكم في جذوع النخل**" (طه: 71)، أي على جذوع النحل، والصلب: هو المصلوب، والجمع صلبان وصلب، قال جرير في هجاء الأخطل:

لَقْد وَلَدَ الأُخيطِلَ أمُّ سَوْءٍ عَلَى بابِ استِها صُلْبٌ وشَامُ (جرير: 515)

وصَلَّبَ الراهبُ، اتخذ في بيعته صليبًا، قال الأعشى:

وما أيْبُلِي على هيكلٍ بَنَاهُ وصَلَّبَ فِيه وَصَارَا (لسان العرب: مادة صَلَبَ)

والصلب أداة من أدوات التعذيب عند الرومان، وأبرز مثال على ذلك هو صلب المسيح عليه السلام، فلماذا لجأ بنو أمية إلى الصلب، وجعلوه أداة من أدوات تعذيبهم لمعارضيهم، حتى أن الذي مات قبل أن ينالوا منه، كانوا يقومون بنبش قبره ويصلبونه، فقد صلبوا عبد الله بن الزُّبير، وكان ابن الزبيرُّ قبل قتله يستعمل الصَّبر والمسك، لئلا ينتن، فلما صُلب، ظهرت منه رائحة المسك، فقيل: إن الحجاج صلب معه كلبا ميتا، فغلب على ريح المسك، وقيل بل صلب معه سَنَوّرًا (ابن الأثير: 178/3).

إن الذي نسعى إليه هنا هو إبراز تلك الآثار الاجتماعية والنفسية التي تعكس حالة المصلوب وهيئته وصورته، ومدى تأثيرها على أهله وذويه ومجتمعه، من خلال الوضع الحقيقي للصلب، فقد خطب خالد القسري بمكة فقال ".....فإني والله ما أوتَي بأحد يطعن على إمامه، إلا صلبته في الحرم " (الطبري: 80/8) وقال الحجاج: إن للشيطان طيفا، وللسلطان سيفا، فمن سقمت سريرته صحت عقوبته، ومن وضعه ذنبه، رفعه صلبه، ومن لم تسعفه العافية لم تختف عنه الهلكة (القلقشندي: 220/1)، وقد تغنى الأمويون بصلبهم لبعض شخصيات آل البيت، فقال أحدهم ساخرا من صلب زيد بن علي:

صَلَبنا لَكُم زيدًا عَلَى جِذعِ نَخلَةٍ وَلم أرَ مَهدِيًا عَلى الجِذعِ يُصْلبُ (المسعودي: 182/2)

لقد ركز الأمويين على الجانب النفسي والاجتماعي بصلب زيد، فالنشاط الخيالي عندهم خاطب الجانب الانفعالي، وارتكز على النشاط الذهني والقوة الحافظة، التي تسند وتدعم الخيالي إلى الحسي، قوة الألفاظ إلى معانيها، لتصل في النهاية إلى الصورة الحقيقية المحسوسة (القرطاجي: 99)

ولعل فكرة الصلب عند الأمويين جاءت من قصة صلب المسيح في الإنجيل، جاء في إنجيل متى: فقال لهم بيلاطس: ماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح؟ فقال له الجميع: ليصلب، فقال الوالي: وأي شر عمل؟ فكانوا يزدادون صراخًا قائلين ليصلب، فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئًا، بل بالحري يحدث شغب أخذ ماءً وغسل يديه قدام الجميع قائلاً: إني بريئ من دم هذا البار، أبصروا أنتم فأجاب جميع الشعب: دمه علينا وعلى أولادنا حينئذ أطلق لهم باراباس، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب، وفيما هم خارجون وجدوا إنسانًا قيراوانيًا أسمه سمعان، فسخروه ليحمل صليبه، ولما أتوا إلى موضع يقال له جلجثة وهو المسمى موضع الجمجمة أعطوه خلاً ممزوجًا بمرارة ليشرب، ولما ذاق لم يرد أن يشرب، ولما صلبوه واقتسموا ثيابه ثم جلسوا يحرسون هناك وجعلوا فوق رأسه علقة مكتوبة: هذا هو يسوع ملك

اليهود، حينئذ صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار، ودعا الجميع مع تلاميذه وقال لهم: من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه. (إنجيل متى: 19)

وقد استخدم بنو أمية وغيرهم من الأحزاب الأخرى المعارضة الصلب وبكثرة، وأحيانًا كان يرافقه ألوان أخرى من العذاب (ابن الأثير: 344/3)، وكذلك التهديد بالصلب، فخالد بن عبد الله القسري يهدد أهل مكة في خطبته فيقول: " فإني والله لا أوتى بأحد يطعن على إمامه إلا صلبته في الحرم..." (ابن الأثير: 133/4–291/4)، وقد صُلِبَ ابن الزبير مع كلب أو سنور (ابن الأثير: 405/3)، وهناك الحرق بعد الصلب " الوليد بن يزيد بن عبد الملك ينزل يحيى بن زيد بن الحسن حتى الموت (ابن الأثير: 299/4–291/4)، حتى أن عبد الله بن الزبير خاف على نفسه من الصلب بعد القتل، قال ابن الزبير لأمه "..... يا أماه أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني....." (ابن الأثير: 401/3) وهذا خالد بن عبد الله يصلب جماعة من الزنج بالبصرة (ابن الأثير: 438/3)، وخزيمة بن نصر بن خزيمة يأمر بصلب العبسي، أحد القراء، وكان صلب مع زيد بن علي (ابن الأثير: 432/3)، ومسلم بن عقبة يصلب بعد نبش قبره وإخراجه منه (الدينوري، 1969: 219). ويوسف بن عمر صلب زيد بن علي والحجاج صلب ماهان أبو صالح "المسبِّح" وصلب ابن هبيرة صالح بن عبد الرحمن (التميمي، 1985: 271).

أرى أن بني أمية أرادوا من هؤلاء المصلوبين —وهم من المعارضة — أن يكونوا عبرة لغيرهم، وبما أن وسائل التعذيب التقليدية الأخرى كالسجن والضرب وما شابهها، لم تثن المعارضة عن المطالبة بالخلافة، لجأ الأمويون إلى صلب معارضيهم، فصورة المصلوب لا تترك أثرا على نفسيته وعلى أهله فقط، وإنما على كل من يشاهد هذه الصورة التي تترك أثرا في الوعي اللاشعوري ولا تخبو مع مرور الزمن..

ومما لاشك فيه أن الحالة التي يكون عليها المصلوب أمام الجميع بعد أن يكون قد عذب وضرب وذاق ألوان العذاب، سيترك أثرًا نفسيا ومعنويا على كل من تسول له نفسه، ليكون في صفوف المعارضة، أو يقف معها، ولهذا له أثر اجتماعي على الناس بشكل عام الذين لا علاقة لهم بالسياسة أو المعارضة، وكأنه يشير بطرف خفي وبرسالة مباشرة للمعارضة – وغير مباشرة لغيرهم — أن من يعارض هذا الحزب سيكون مصيره الصلب.

قطع الرأس وإرساله:

لعل من أكثر وسائل القمع النفسي والجسدي التي تلفت نظر الباحث في أدب العصر الأموي هي قطع الرأس وإرساله إلى الوالي أو الأمير أو الخليفة، ولا أرى هذا العمل إلا من باب الانتقام والثأر والحقد الدفين على هؤلاء الناس، وأبرز مثال على ذلك إرسال رأس الحسين إلى يزيد في الشام، فمن الحالات هذه، قطع رأس عبد الله بن أوس الطاحي (ابن الأثير، 1997: 61/2)، و ابن زياد يرسل رأس هانئ بن عروة وابن عقيل إلى يزيد، فيشكره يزيد على ذلك (ابن الأثير، 1997: 146/1)، ثم إرسال رؤوس الحسين وأصحابه إلى ابن زياد (ابن الأثير، 1997: /185)، ثم إرسالها إلى الشام (ابن الأثير، 1997: 187/3) وحمل رأس ابن الجارود وثمانية عشر رأسا من وجوه أصحابه إلى المهلب، فنصبت؛ ليراها الخوارج " (ابن الأثير، 1997: 429/3)، وهناك الطواف بالرأس المقطوع "وأمر ابن زياد برأس الحسين فطيف به في الكوفة..." (ابن الأثير، 1997: 187/3)، ومثله رأس مصعب، إذ قطع رأسه وطيف به (ابن الأثير، 1997: 384/3–385) "، وهناك الصلب مع قطع اليدين والرجلين (ابن الأثير، 1997: 197/3)، وعبد الله بن ظبيان يقتل مصعب بن الزبير ويقطع رأسه ويحمله إلى عبد الملك، فينشد عبد الملك:

نُعاطِي المُلُوكَ الحَقَّ مَا قَسَطُوا لَنا وَلَيْسَ عَلَيْنَا قَتلُهُم بِمُحَرَّمِ (ابن الأثير، 1997: 381/3)

فأخذ رأسه وأحرقت جثته " (ابن الأثير، 3: 329/1997)، وهناك الغدر " فقتيبة يصنع طعاما لعمر بن أبي الصلت ومن معه ثم يقتل عمر ويبعث أباه أسيرا إلى الحجاج وقيل بل قتله وبعث برؤوسهما (ابن الأثير، 1997: 513/3)، ويقطع ارتبيل رأس عبد الرحمن بن الأشعث ويرسله إلى الحجاج، ثم يرسله الحجاج إلى عبد الملك ويبعث به عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز، فقال فيه الشاعر:

هَيْهاتَ يُوضَعُ جُثَّةً مِن رَأسِها رأسٌ بِمصرَ وجُثَّةٌ بالرفَجِ (ابن الأثير، 1997: 505/3)

وبعد قتل ابن الزبير حُمل رأسه إلى الحجاج (ابن الأثير، 3: 405/1997)، ونورد هنا ما رواه ابن الأثير عن كيفية قتل الحسين وتعذيب نسائه ومن معه، وكيف أن السلطة الأموية عاملتهم معاملة قاسية بصرف النظر عن قرابتهم من النبي الكريم عليه السلام، وكيف أن السياسة كانت تتحكم بأفكار الناس وأهوائهم، "وأمر ابن زياد برأس الحسين فطيف به في الكوفة، وكان رأسه أول رأس حمل في

الإسلام على خشبة"، ثم أرسل ابن زياد رأس الحسين ورؤوس أصحابه مع زفر بن قيس إلى الشام ليزيد ومعه جماعة، وقيل: مع شمر وجماعة معه، وأرسل معه النساء والصبيان، وفيهم علي بن الحسين، وقد جعل ابن زياد الغل في يديه ورقبته، وحملهم على الأقتاب، فلم يكلمهم علي بن الحسين في الطريق حتى بلغوا الشام، فدخل زفر بن قيس على يزيد، فقال: ما وراءك؟ فقال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله وبنصره، ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته، وستين من شيعته، فسرنا إليهم، فسألناهم أن ينزلوا على حكم الأمير عبيد الله أو القتال، فعدونا عليهم مع شروق الشمس، فأحطنا بهم من كل ناحية حتى إذا أخذت السيوف مآخذها من هام القوم جعلوا يهربون إلى غير وزر، ويلوذون بالإكام والحفر، كما لاذ الحمائم من صقر، فوالله ما كان إلا جزر جزور، أو نومة قائل، حتى أتينا على آخرهم! فهاتيك أجسادهم مجردة، وثيابهم مرملة، وخدودهم معفرة، تصهرهم الشمس، وتسفى عليهم الريح، زوارهم العقبان والرخم (ابن الأثير، 1997: 187/3).

أما كيفية قتله فقيل فيها "...فصعدوا على الحائط، وكان أول من علاه يزيد بن عنبسة، فنزل إليه، فأخذ بيده وهو يريد أن يحبسه ويؤامر فيه: فنزل من الحائط عشرة، منهم: منصور بن جمهور، وعبد السلام اللخمي، فضربه عبد السلام على رأسه، وضربه السري بن زياد أبي كبشة في وجهه، واحتزوا رأسه وسيروه إلى يزيد، فأتاه الرأس وهو يتغدى، فسجد، ودخل البشير على عمرو بن سعيد فقال: ما وراءك؟ قال: ما سر الأمير، قتل الحسين بن علي، فقال: ناد بقتله، فنادى، فصاح نساء بني هاشم، وخرجت ابنة عقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها حاسرة تلوي ثوبها، وهي تقول:

ماذا تَقُولونَ إنْ قالَ النَبيّ لَكُم ... مَاذا فَعَلتُم وأَنتُم آخرُ الأُمَمِ

بعترَتِي وَبأهْلِي بَعدُ مُفتقَدي ... مِنهُم أُسارَى وَقَتلَى وَضُرِّجُوا بدَمِ

ما كانَ هذا جَزائِي إذا نَصَحْتُ لَكُم ... أنْ تَخلُفونِي بسوءٍ فِي ذَوي رَحِمِي

(ابن الأثير، 1997: 187/3)

ولما قتل الحسين ومن معه حملت رؤوس إلى ابن زياد، فجاءت كنده بثلاثة عشر رأسا، وصاحبهم قيس بن الأشعث، وجاءت هوازن بعشرين رأسا وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن الضبابي، وجاءت بنو تميم بسبعة عشر رأسا، وجاءت بنو أسد بستة أرؤس، وجاء سائر الجيش بسبعة أرؤس، فذلك سبعون

رأسا (ابن الأثير، 1997: 194/3) وقطع الرأس كان سمة بارزة في ذلك العصر (ابن الأثير، 1997: 76/4–135/4–383/4–133/4)

ب– أساليب نفسية:

نقصد بالأساليب النفسية المتنوعة استخدام أولي الأمر من الأحزاب المتصارعة لبعض أساليب من القمع والتركيز فيها على الجانب النفسي بقصد إهانة الشخص داخليًا والتقليل من شأنه حتى أمام نفسه، فقد كان الوالي أو الخليفة يبتكر أنواعا أخرى غير معروفة من ألوان العذاب؛ للمبالغة في قتل السجين نفسيا، قبل قتله جسديا، كأن يقوم بتعذيبه أمام الناس، كما حدث مع ابن مفرغ، الذي راح يعذب في شوارع البصرة، على مرأى من الناس ومسمعهم، فقال وهو على تلك الحال:

ضَجّتْ سُمَّيةُ لمّا مَسّها القَرَن لا تَجْزَعِي إنَّ شَرّ الشّيمة الجَزَعُ (ديوانه: 149–170–72)

وقد تكون الصورة التي وضعها في أعلى موقع من ذهنه، قد استأثرت باهتمامه؛ لأنه أحاطها بكثير من الملامح المركزة، والتقديرات المتداعية، ولكنها كانت لا تشكل إلا ركنًا من أركان الصورة، أما بقيتها فكانت متناثرة في أبياته، وبين ظلال الأحاسيس المتوقدة، وربما كان ذلك دافعا من دوافع الشاعر؛ لعرض قضيته بالشكل الذي ارتضاه، وهو تساؤل له أكثر من دلالة، فالحسن بن علي كانت وصيته أن يدفن بحانب قبر النبي عليه السلام، ولكن الأمويين رفضوا ذلك (ابن الأثير: 58/3)، وابن زياد: "يقطع يدي ورجلي البثجاء"، وهي من الخوارج (ابن الأثير: 111/3)، وابن زياد يسقي ابن مفرغ دواء، ثم يأمر بحمله على حمار ويطاف به، وهو يسلح في ثيابه (ابن الأثير: 115/3)، وعبد الله بن زياد يسأذن معاوية في قتل ابن مفرغ الحميري، فلم يأذن له ويأمره بتأديبه " (ابن الأثير: 115/3) ومن الأساليب أيضا ترك القتلى في العراء، " أخذ عمر بن سعد بنات الحسين وأخواته إلى الكوفة وترك الحسين وأصحابه صرعى بالعراء، فصاح النساء ولطمن خدودهن، وصاحت أخته زينب: يا محمداه صلى الله عليه وسلم أهذا الحسين بالعراء، مرمل الدماء ومقطع الأعضاء وبناتك سبايا (ابن الأثير، 1997: 185/3–186)، ومن هذه الأساليب أيضًا لعن علي: زياد يأمر الصيفي الشيباني (وهو من جماعة جحر بن عدي)، أن يلعن علي بن أبي طالب، (ابن الأثير، 1997: 73/3)، هدبة بن فياض القضاعي، والحصين بن عبد الله الكلابي وأبو شريف البدي يطلبان من جماعة حجر بن عدي " إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة في علي واللعن له، فإن فعلتم تركناكم وإن أبيتم قتلناكم " (ابن الأثير، 1997:

80/3)، وابن زياد: يطلب في جماعة من الخوارج أن يقتلوا إخوانهم من الخوارج؛ لكي يعفي عنهم فيفعلوا، ثم يطلق سراحهم (ابن الأثير، 1997: 109/3)، ومن الأساليب التي ركزت على الجانب النفسي قطع الرأس وتعليقه في عنق الفرس " بديل بن صريم يقتل حبيب ويحتز رأسه ويعلقه في عنق فرسه " (ابن الأثير، 1997: 176/3)، وهناك الطعن والتقطيع بالسيوف، كما حصل مع علي الأكبر ابن الحسين (ابن الأثير، 1997: 179/3)، يقول معاوية " فأقسم بالله لئن رد علي أحدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة بعدها حتى يسبق السيف إلى رأسه " (ابن الأثير، 1997: 103/3)، وهناك الغدر " وكان عبد الملك أول من غدر في الإسلام " مع عمر بن سعيد " (ابن الأثير، 1997: 534/3). ولا نستغرب ما حصل من شدة وبطش أيام عبد الملك وأبنائه، فقد أسرف المروانيون المتقدمون في العنف؛ لأنهم استغرقوا شطرا كبيرا من أيامهم في تثبيت ملكهم وأنهم كانوا يرومون ترسيخ سلطانهم بعد أن ردوا خصومهم واسترجعوا سائر الأمصار منهم (عطوان، 1986: 151–152).

حرق البيوت وهدمها:

أمر المختار بهدم دار عبيد الله بن الحرّ، وأخذ امرأته، وحضر مع مصعب قتال المختار وقتله، فلما قتل المختار قال الناس لمصعب في ولايته الثانية: إنا لا نأمن أن يثب ابن الحر بالسواد كما كان يفعل بابن زياد والمختار، فحبسه، فقال:

فَمَنْ مُبلِغِ الفِتْيَان أَنْ أَخاهُم ... أَتَى دُونَهُ بابٌ شَدِيْدٌ وَحَاجِبُه

بِمَنزِلَةٍ مَا كَان يَرضَى بِمِثْلِها ... إِذا قَامَ عْنتهُ كَبوُلٌ تُجانِبُهْ

عَلى السَّاق فَوقَ الكَعْبِ أَسْوَدُ صَامِتٌ ... شَدِيدٌ يُداني خَطوَهُ وَيُارِبُهْ

وَما كَان ذا مِنْ عِظَمِ جُرْمٍ جَرَمتَهُ ... وَلَكِنْ سَعَى السّاعي بِمَا هُو كَاذِبُهْ

(ابن الأثير: 349/3)

ومنها أيضًا رمي البيت بالنار " ابن زياد يلهب النار في بيت مسلم بن عقيل " (ابن الأثير: 143/3) ويهدم بيته (ابن الأثير: 314/2)، وقد يكون بدايةً الرمي بالحجارة (ابن الأثير: 143/3)، ثم هدم البيت (ابن الأثير: 349/3) وعمر بن سعيد يأمر بحرق بيوت آل الحسين (ابن الأثير: 175/3–176)، وهدم الحجاج الثقفي بيت أسماء بن خارجة، قال ابن الزبير في ذلك :

بَاتَ أَبَا حسّانَ تُهدَمُ دَارُهُ	**لَكنْ سَعَتْ مَسَاقَها وعبيدُها**
تركتُم أبا حَسَان تُهدمُ دارهُ	**مشيدةٌ أبوابُها وحديدُها**
يَهدِمُها العِجْليّ فيكُم بِشُرطَةٍ	**كَما نَبَّ في شِبلِ التُيوسِ عُتودُها** (ديوانه: 76-77)

وقال عبيد الله بن الحر:

هُم هَدَمُوا دَارِي وَقادُوا قِبلَتِي	**إلى سِجْنِهِم والمُسلِمُون شُهُودي** (ديوانه: 102)

ومالك بن مسمع أتاه جماعة من مصر، فحاصروه في داره ثم حرقوها، ولما هرب ابن زياد تبعوه، فأعجزهم، فنهبوا ما وجدوا، وفي ذلك يقول واقد بن خليفه التميمي:

يَا رَبّ يا جَبّار شَديدٌ كَلْبه	**قَد صَارَ فينَا باجه وَسَلبهْ**
مِنهم عُبيد الله يَومَ نسلبه	**جِياده وبزه وننهبهْ**
يَومَ التَقى مقنبنا ومقنبه	**لَو لَم ينجُ ابنُ زِياد هربهْ** (ابن الأثير: 233/3)

ويجادل عبد الله بن عفيف الأزدي ابن زياد بقوله: يا ابن مرجانه! إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه يا ابن مرجانه، أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين؟ فقال "علي به. فأخذوه، فنادى بشعار الأزد: يا مبرور! فوثب إليه فتية من الأزد فانتزعوه، فأرسل إليه من أتاه به، فقتله وأمر بصلبه في المسجد، فصلب (ابن الأثير: 233/3)، وطلب المختار سنان بن أنس الذي كان يدعي قتل الحسين، وقد هرب إلى البصرة، فهدم داره، وأرسل إلى محمد بن الأشعث، وهو في قرية له إلى جنب القادسية، فطلبوه فلم يجدوه، وكان قد هرب إلى مصعب، فهدم المختار داره، وبنى بلبنها وطينها دار حجر بن عدي الكندي، و كانت قد هدمت (ابن الأثير: 314/3)

الرمي بالسهام:

يبدو أن هذا الأسلوب كان شائعًا، وبخاصة أن العرب كانت تعتمد على الصيد في جزءٍ كبير من حياتها، لذلك من المتوقع أن يكون الأسلوب موجودًا عندهم، إذ تحولت الصورة من إطلاقه على الحيوان إلى إطلاقه على الإنسان (ابن الأثير: 171/3-172-175-273)، والرمي بالنبل (ابن الأثير: 181/3-313/3) وقد يرافقه الرمي بالحجارة وهو ميت "... فنزعت سهمي الذي قتلته به من جوفه، فلم أزل

أنضنضه من جبهته حتى أخذته وبقي النصل.... لا تطعنوه ولا تضربوه بالسيف، ولكن ارموه بالنبل والحجارة. ففعلوا ذلك به، فسقط، فأحرقوه حيا (ابن الأثير: 314/2)، وهناك الطعن بالرماح حتى الموت (ابن الأثير: 314/2–174/3).

نبش القبر وصلب من فيه:

يبدو أن الحقد الدفين عند المعارضة جعلهم يفعلون أشياء بعيدة عن الدين الإسلامي وتعاليمه، فحتى الميت لم يسلم بموته الذي ربما يكون بطريقة خارجة عن تعاليم الدين، وإنما راح بعض الأشخاص يقومون بنبش قبور بعض الأشخاص، ومنه أن أم ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة تقوم بنبش قبر مسلم بن عقبة وصلبه (الدينوري، 1969: 219).

السب والشتم:

السب والشتم "... كان بنو أمية يسبون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أن ولي عمر بن العزيز الخلافة فترك ذلك " (ابن الأثير: 98/4–171/3–186/3).كتب معاوية بن أبي سفيان إلى ابن عباس يحثه على مبايعته ليزيد "... فإذا أتاك كتابي هذا، فاخرج إلى المسجد والعن قتلة عثمان وبايع عاملي، فقد أعذر من أنذر وأنت بنفسك أبصر والسلام" (الدينوري، 1969: 178/1)، ويطلق على سمية صفة الزانية (ابن الأثير: 175/1).

التسمير:

للقيد صفة معلومة، فهو على قدر كاف لأن يحيط باليدين أو الرجلين، وينتهي طرفاه بحلقتين، هما حجلا القيد، ويصل بين الحجلين عامود من حديد يسمى" المسمار"، وهو ما يعرف بالتسمير، وهو من أساليب التعذيب القليلة، قال جحدر بن معاوية:

الدهرَ أرسفُ في كَبلٍ أُعالِجُهُ وحَلقه قاربوا فيها بمسمارِ (ديوانه: 176)

التسمير في اللغة، شدّ الخشب ونحوه بالمسمار وتثبيته بدقة فيه، أما في الاصطلاح فهو تعرية المحكوم عليه وتجريده من الثياب ثم ربطه على خشبتين (لسان العرب: مادة سَمَرَ)، وهو قليل جدا في عصر بني أمية.

ج–عقوبات أخرى:

ومن وسائل القمع الأخرى أيضا **جمع النساء والرجال** في موضع واحد أحيانا، وإن لم يكن هذا الوضع سائدًا في جميع السجون، فقد وردت أكثر من رواية تشير إلى أن النساء والعيال يحبسون في مكان خاص بهم، ومن هذه الأساليب **تقييد السجناء معا**، فعندما دخل إبراهيم التميمي إلى سجن واسط، وجد كل اثنين في قيد واحد، وكان سجنهم ضيق جدًا (التنوخي، 1978: 83)، وهناك الجلد (ابن الأثير: 71/4)، **والذبح** فعبد الملك يذبح عمرو بن سعيد الأشدق " (ابن الأثير: 359/3)، **والحرق بالنار** وهو حي (ابن الأثير: 314/2–291/4)، **وحرق الجثة** (ابن الأثير: 329)، **والدفن وهو حي** " زياد يدفن عبد الرحمن بن حسان العنزي حيا" (ابن الأثير: 81/3)، **منع دفن** عبد الله بن الزبير (ابن الأثير: 406/3) **ودفنه في مقابر اليهود** (ابن الأثير: 406/3)، **و الرمي بالحجارة** (ابن الأثير: 317/3)، **والرجم بالحجارة** (ابن الأثير: 304/4) و **نتف اللحية** (ابن الأثير: 218/3) **وحلق اللحية** (ابن الأثير: 71/4)، **وحلق الرأس** (ابن الأثير: 184/4)، **والقتل على المنبر** (ابن الأثير: 233/3) أضف إلى ذلك **التعذيب المطلق** (لا نعرف ما هو) (ابن الأثير: 72/4)، فقد أطلق الوليد بن عبد الملك يد الحجاج فظلم اليمانية وحاسب المهالبة حسابا عسيرا وعذبهم عذابا شديدا (اليعقوبي: 285/2). ومن وسائل القمع السياسي **وضع الخل**، إذ يوضع على الجروح " ثم أمر الحجاج بفيروز بن حصين، وكان يشد عليه القصب الفارسي المشقوف، يجر عليه حتى يجرح به، **ثم ينضح عليه الخل**... (ابن الأثير: 508/3)، وقيل: إن عمرو بن عثمان بن عفان لم يكن فيمن خرج من بني أمية، فأتي به يومئذ إلى مسلم، فقال: يا أهل الشام تعرفون هذا؟ قالوا: لا، قال: هذا الخبيث بن الطيب، هذا عمرو بن عثمان، هيه يا عمرو، إذا ظهر أهل المدينة قلت: أنا رجل منكم، وإن ظهر أهل الشام، قلت: أنا ابن أمير المؤمنين عثمان. فأمر به **فنتفت لحيته** (ابن الأثير: 218/3)، وطلب أيضا عمرو بن الصبيح الصدائي، كان يقول: لقد طعنت فيهم وجرحت، وما قتلت منهم أحدا، فأتي ليلا فأخذ، وأحضر عند المختار **وطعن بالرماح حتى مات** وأتي بيزيد بن وهب، فقال له: بايع.قال: أبايعك على الكتاب والسنة. قال: اقتلوه، قال: أنا أبايعك! قال: لا والله، فتكلم فيه مروان لصهر كان بينهما، فأمر بمروان **فوجئت عنقه**، ثم قتل يزيد (ابن الأثير: 217/3)، حتى أن الخليفة كان يقتل ويتفنن في القتل؛" أخذ

عبد الملك الحربة، فطعن بها عمرا فلم تجز، ثم ثنى فلم تجز، فضرب بيده على عضده، فرأى الدرع فقال: ودرع أيضا؟ إن كنت لمعدا! فأخذ الصمصامة وأمر بعمرو فصرع، وجلس على صدره فذبحه وهو يقول:

يَا عَمْرُو إِنْ لا تَدعْ شِيَمْي وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبْكَ حَيْثُ تُقُولُ الهَامَةُ اسْقُونِي

وانتفض عبد الملك رعدة، فحمل عن صدره فوضع على سريره، وقال: ما رأيت مثل هذا قط، قتله صاحب دنيا ولا آخرة (ابن الأثير: 359/3)، ولما قتل مصعب **بعث عبد الملك رأسه** إلى الكوفة، أو حمله معه إليها، ثم بعث به إلى أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر، فلما رآه وقد قطع أنفه قال: رحمك الله! أما والله لقد كنت من أحسنهم خلقا وأشدهم بأسا وأسخاهم نفسا، ثم سيره إلى الشام فنصب بدمشق، وأرادوا أن يطوقوا به في نواحي الشام، فأخذته عاتكة بنت يزيد ين معاوية زوجة عبد الملك بن مروان، وهي أم يزيد بن عبد الملك، فغسلته ودفنته وقالت: أما رضيتم بما صنعتم، حتى تطوفوا به في المدن؟ **هذا بغي** (ابن الأثير: 384/3–385).

وربما ما ورد عن عبد الملك في هذه الرواية في شيء من الصحة، وبخاصة أن الروايات التي وردت عنه والموثوق بها، وصفته بالغلظة والقسوة أكثر مما وصفته بالرأفة والرحمة، وهو أكثر خليفة هان عليه القتل وهو يثبت سلطان بني أمية ويدافع ويحامي عنه (العقد الفريد: 20/5)، وهو يعترف بأنه ولغ في الدماء (البداية و النهاية: 66/9).

وسرح نصر بن سيار سالم بن أحوز في طلب يحيى، فلحقه بالجوزجان فقاتله قتالا شديدا، **فرمي يحيى بسهم** فأصاب جبهته، رماه رجل من عنزة يقال له عيسى، فقتل أصحاب يحيى من عند آخرهم، **وأخذوا رأس يحيى وسلبوه قميصه**، فلما بلغ الوليد قتل يحيى كتب إلى يوسف بن عمر: خذ عجيل أهل العراق فأنزله من جذعه، يعني زيدا، **وأحرقه بالنار**، ثم أنسفه باليم نسفا فأمر يوسف **فأحرق**، ثم رضه وحمله في سفينة، ثم ذراه في الفرات، وأما يحيى فإنه لما **قتل صلب** بالجوزجان، فلم يزل مصلوبا حتى ظهر أبو مسلم الخراساني، واستولى على خرسان، فانزله وصلى عليه ودفنه، وأمر بالنياحة عليه في خراسان، وأخذ أبو مسلم ديوان بني أمية، وعرف منه أسماء من حضر قتل يحيى، فمن كان حيا قتله، ومن كان ميتا خلفه في أهله بسوء، وكانت أم يحيى ريطة بنت أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية (ابن الأثير: 291/4).

ومن وسائل القمع أيضا، أنهم كانوا أحيانًا **يبيعون الأشخاص** –وهو نادر– ومنه ما رواه ابن الأثير في قوله "فرفع خالد صوته وقال: قل له: هذا أردت، والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه. فأمر الوليد بضربه، فضرب، فلم يتكلم، فحبسه حتى قدم يوسف بن عمر من العراق بالأموال، فاشتراه من الوليد بخمسين ألف ألف، فأرسل الوليد إلى خالد: إن يوسف يشتريك بخمسين ألف ألف، فإن كنت تضمنها وإلا دفعتك إليه. فقال خالد: ما عهدت العرب تباع، والله لو سألتني أن أضمن عودا ما ضمنته. فدفعه إلى يوسف، فنزع ثيابه ألبسه عباءة، وحمله في محمل بغير وطاء وعذبه عذابا شديدا، وهو لا يكلمه كلمة، ثم حمله إلى الكوفة فعذبه، **ثم وضع المضرسة على صدره**، فقتله من الليل ودفنه بالحيرة في عباءته التي كان فيها، وذلك في المحرم سنة ست وعشرين، وقيل: بل أمر يوسف فوضع على رجليه عمود، وقام عليه الرجال حتى تكسرت قدماه، وما تكلم ولا عبس (ابن الأثير: 298/4)، وحكي له يزيد بن عنبسة ما قاله للوليد، قال آخر كلامه: والله لا يرتق فتقكم، ولا يلم شعثكم، ولا تجتمع كلمتكم، فأمر يزيد رأسه فقال له يزيد بن فروة مولى بني مرة: إنما تنصب رؤوس الخوارج، وهذا ابن عمك وخليفة، ولا آمن أن نصبته أن ترق له قلوب الناس، ويغضب له أهل بيته، فلم يسمع منه **ونصبه على رمح فطاف به بدمشق** (ابن الأثير: 305/4)، ومن الذين طيف بهم العرجي، فكان محمد بن هشام حاقدًا على العرجي فأخذه أخذًا قياسياً، قبل أن يموت في السجن بعد مكوثه فيه تسع سنوات، فعمد إلى إذلاله نفسيًا على مرأى الناس، فكان يخرجه من السجن على ناقة ليطاف به في أسواق مكة وأحيائها مغلولاً بالي الثياب، كما يشهر بكبار المجرمين، ثم يقفه للناس في الهواجر ويصب على رأسه الزيت (الأغاني: 158/1).

ومن وسائل القمع السياسي أيضا، **التهديد والوعيد** يقول النعمان بن بشير: "فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبت قتمه بيدي" (ابن الأثير: 134/3)، المنذر بن الجارود يخطب: "... والله لئن بلغني منكم خلاف، لاقتلنه وعريفه ووليه ولآخذن الأدنى بالأقصى حتى تستقيموا..." (ابن الأثير: 236/3)، ومعاوية أخذ بالظنة وعاقب على الشبهة (ابن الأثير: 48/2) وكان **التهديد** لكبار السن أيضا، الحجاج يهدد صفية بنت عبد المطلب أم عبد الله بن الزبير (ابن الأثير: 408/3–422/3)، والحجاج يهدد أهل العراق (ابن الأثير: 422/3) وعبد الملك يهدد أهل المدينة (ابن الأثير: 435/3).ومن وسائل التعذيب أيضا النهش، كأن تترك الكلاب لتنهس لحم الشخص، كما في قول أبن مفرغ:

وكلابًا ينهشني من ورائي عَجِبَ الناسُ مالَهُنَّ ومالي (ديوانه: 188)

الخاتمة:

يلفت نظر الباحث في الأدب العربي عامة والأموي خاصة، التجاوب العميق والارتباط الوثيق بأحداث عصره، فمن خلال الدراسة التاريخية لأحداث العصر يمكن تفسير أكثر المفاهيم التي رسمها العصر والموضوعات التي دار حولها.ولم يكن هدف هذا البحث أن يظهر سلبيات هذا العصر، فله من الإيجابيات ما لا يحصى في شرق الأرض ومغربها، وما هذا البحث إلا تتبع سمة تاريخية لا يستطيع أحد أن ينكرها.

ولعل أهم ما برز في الجانب السياسي ثم انعكس على الجوانب الأخرى، ذلك الصدع الخطير الذي أصاب الأمة وخلفها أحزابا متناحرة، وهو الصراع على الخلافة وطرق الوصول إليها، فاضطر بعض الناس من عِلية القوم إلى اللجوء إلى طرق لا يبيحها الدين ولا العرف ولا التقاليد، ورب سائل يسأل، هل تعد مثل هذه السلوك، سلوك فردية ولا تعكس المسؤولية المباشرة لخليفة المسلمين؟ ربما يكون هذا صحيحا، ولكننا نجد بعض المواقف للخليفة نفسه أو من يمثله، يقوم بمثل هذه السلوك، آخذين بعين الاعتبار طول الفترة الزمنية بيننا وبين ذلك العصر، وكذلك ما قيل عن ذلك العصر من المعارضة، وبخاصة أن تاريخ ذلك العصر كتب في مرحلة لاحقة، ومن المعارضة أيضا.

وحكمنا على ما ورد من أقوال وأشعار نسبت للعصر الأموي، أنها لا تمثل الدين الإسلامي، صاحب الرسالة السامية، أضف إلى ذلك أن الإسلام يبيح القتل في حالات معينة أو استخدام وسائل مشابهة إذا كانت تقف في وجه الدين، فربما كان لديهم مبررا لمثل هذه السلوك.

ببليوغرافيا:

لقد اعتمدت في الأقوال المنسوبة للعصر الأموي على كتاب:

ابن الأثير. **الكامل في التاريخ**. تحقيق عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997.

أما دون ذلك فكان الاعتماد على الكتب والدواوين المحققة تحقيقا علميا، وفيما يلي قائمة بمصادر البحث ومراجعه:

- القرآن الكريم.
- الإنجيل
- ابن بكار، الزبير. **الأخبار الموفقيات**. تحقيق سامي العاني. بغداد: د.ن، 1972.
- الأصفهاني، أبو الفرج. **الأغاني**، القاهرة، مصر: دار الكتب المصرية، د.ت.
- البلاذري، يحيى بن جابر. **أنساب الأشراف**. تحقيق عبد العزيز الدوري. بيروت: د.ن. 1978.
- إسماعيل، عز الدين. **روح العصر**. بيروت: دار الرائد العربي، 1978.
- الأسدي، عبد الله بن الزبير. **شعر عبد الله بن الزبير الأسدي**. تحقيق يحيى الجيوري. بغداد: د.ن.، 1974
- ابن تيمية، أحمد. **الوصية الكبرى**. ط2. تحقيق محمد الحمود. الدمام: مكتبة بن الجوزي، 1408 هـ.
- ابن الأثير، عز الدين. **الكامل في التاريخ**. تحقيق عمر عبدالسلام تدمري. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997.
- الباهلي، عمر بن أحمر. **ديوانه**. تحقيق حسين عطوان. دمشق: د.ن، 1970.
- البزرة، أحمد مختار. **الأسر والسجن في شعر العرب**. دمشق: د.ن، 1985.
- بكار، يوسف. **بناء القصيدة العربية**. القاهرة: د.ن، 1979.
- التميمي، محمد بن أحمد. **كتاب المحن**. تحقيق عمر سليمان العقيلي. الرياض: دار العلوم، 1984.
- جرير. **ديوانه**. بيروت: الصاوي، د.ت.

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**. حيدر أباد: دائرة المعارف العثمانية، 1357هـ.
- الحميري، يزيد بن مفرغ. **ديوانه**. تحقيق عبد القدوس أبو صالح. بيروت: الرسالة، 1975.
- الحموي، ياقوت. **معجم البلدان**. بيروت: د.ن، 1972.
- ابن خلدون، عبد الرحمن. **المقدمة**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- ابن خلكان، القاضي شمس الدين. **وفيات الأعيان**. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر، د.ت.
- ابن خياط، خليفة. **تاريخ خليفة بن خياط**. تحقيق سهيل زكار. دمشق: د.ن، 1968.
- الدينوري، ابن قتيبة. **الإمامة والسياسة**. مصر: البابي الحلبي، 1969.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل. **المخصص**. د.م: بولاق، 1318هـ.
- السلولي، عبد الله بن همام. **حياته وما تبقى من شعره**. تحقيق نوري القيسي. الرياض: د.ن، 1988.
- الطبري، محمد. **تاريخ الأمم والملوك**. ط2. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: دار المعارف، د.ت.
- الطبري، محمد. **تاريخ الأمم والملوك**. القاهرة: الاستقامة، 1939هـ.
- عاقل، نبيه. **خلافة بني أمية**. ط2. دمشق: دار الفكر، 1972.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد. **العقد الفريد**. القاهرة: لجنة الترجمة والتأليف والنشر، 1948.
- عطوان، حسين. **الأمويون والخلافة**. بيروت: دار الحيل، 1986.
- العرجي، عبد الله بن عمر. **ديوانه**. تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي. بغداد: د.ن، 1956.
- العقاد، عباس. **معاوية بن أبي سفيان في الميزان**. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي. 1966.
- العقيلي، عمر سليمان. **يزيد بن معاوية**. الرياض: د.ن، 1408هـ.
- عصفور، جابر. **الصورة الفنية**. القاهرة: دار الثقافة، 1994.
- الفرزدق. **ديوانه** بيروت: دار صادر، 1960.

- فلهاوزن. **تاريخ الدولة العربية**. ط2. ترجمة محمد أبو ريدة. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، 1968.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. **البداية والنهاية**. تحقيق مجموعة من الأساتذة. بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـ.
- الكلابي، القتال. **ديوانه**. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة، 1961.
- الكلابي، طهمان بن عمرو. **ديوانه**. تحقيق محمد عبد الكريم مسعود. بيروت: دار الفكر العربي، 2002.
- مصلوح، سعد. **حازم القرطاجي: نظرية المحاكاة والتخييل في الشعر**. القاهرة: عالم الكتب، 1980.
- المبرد، أبو العباس ثعلب. **الكامل في اللغة والأدب**. تحقيق محمد أبو الفضل والسيد شحاته. القاهرة: د.ن.، 1956.
- ابن منظور، جمال الدين. **لسان العرب**. بيروت: دار صادر، د.ت.
- امرؤ القيس، امرؤ القيس بن حجر. **ديوانه**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: دار المعارف، د.ت.
- المسعودي، علي بن الحسين. **مروج الذهب**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة، مصر: د.ن، د.ت.
- نوري، حمودي القيسي. **شعراء أمويون**. بغداد: د.ن، 1975.
- همدان، أعشى. **ديوانه وأخباره**. تحقيق حسن عيسى أبو ياسين. الرياض: د.ن، 1983.
- اليعقوبي، أحمد. **تاريخ اليعقوبي**. بيروت: د.ن.، 1960.